

مبادئ العدالة الاجتماعية الإسلامية في حل مشكلة الفقر

بقلم : محمد عرفان حلمي*

Abstrak

Kemiskinan adalah masalah yang dihadapi oleh hampir seluruh umat manusia. Sebagai agama yang menjunjung tinggi produktifitas, Islam memandang kemiskinan sebagai masalah yang harus dicarikan solusi. Kemiskinan-dalam pandangan Islam- sesungguhnya disebabkan oleh keterbatasan produksi yang ditandai oleh tidak maksimalnya pemanfaatan sumber daya alam. Disamping buruknya distribusi hasil sumber daya alam kepada masyarakat. Untuk menyelesaikan masalah kemiskinan, keduanya harus dibenahi secara bersamaan sebab keduanya saling terkait laksana dua sisi mata uang yang tidak bisa dipisahkan.

Dalam kaitan ini, prinsip keadilan sosial dalam Islam sesungguhnya telah menjamin kehidupan manusia terlepas dari jeratan kemiskinan. Paling tidak, terdapat dua prinsip keadilan sosial dalam Islam yang jika diterapkan secara baik akan menyelesaikan masalah kemiskinan. Pertama, prinsip takaful yang mengacu pada praktek saling menjamin antar anggota masyarakat. Kedua, prinsip keseimbangan sosial. Prinsip ini secara otomatis menolak sentralisasi kekayaan pada satu individu atau kelompok tertentu yang menyebabkan kemiskinan pada pihak lainnya.

الكلمات المهمة : العدالة الاجتماعية, الفقر, التوازن

أ. مقدمة

إن من أكبر المشكلات التي تعاني بها الأمة الإسلامية ولم تزل تعاني بها الآن هي مشكلة الفقر. و مشكلة الفقر وان كانت قديمة لازمت الإنسانية منذ فجر التاريخ الا انها لم تشعر بوطأتها الا تدريجيا بتزايد حاجات الإنسان تبعاً لدرجة تطوره و تقدمه. فالإنسان الأول بالرغم من قلة موارده لم يكن يشعر بوطأة الفقر لقلة حاجاته و تطلعاته الإستهلاكية.¹

* مدرس الدراسات الإسلامية بجامعة سلاطيحا الإسلامية الحكومية و خريج جامعة

الأزهر الشريف بالقاهرة

¹ محمد شوقي الفنجري, فكر المسلم المعاصر ما الذي يشغله, (القاهرة: مركز

الأهرام للترجمة و النشر, ١٩٩٤), ص.٢٠١.

ولقد بلغت مشكلة الفقر ذروة حدتها متأخرا في العصر الحالي, و ذلك بحكم سهولة اتصال الناس بعضهم ببعض و ظهور الفوارق مع ازدياد الوعي الإجتماعى. فالفلاح فى القرية ذات الإقتصاد المغلق لم يكن يشعر بفقره الا حين اتصاله بعالم المدينة. وعليه فإن مشكلة الفقر نسبية تختلف باختلاف الزمان و المكان. فلا شك أن فقير العصر الحاضر يعتبر غنيا بالنسبة الى انسان العصور القديمة, كما ان متوسط الحال اليوم فى اندونيسيا يعتبر فقيرا بالنسبة لمتوسط الحال الأمريكى او الأوروبى.^٢

ب. حقيقة مشكلة الفقر

وقد اختلف الفكر الإقتصادى التقليدى و الفكر الإقتصادى الإسلامى فى نظرها الى حقيقة مشكلة الفقر. ففى الفكر الإقتصادى التقليدى تتمثل مشكلة الفقر فى عدم توافر المستوى الأدنى للمعيشة وهو ما يعبر عنه أصحاب هذا الفكر بمصطلح "حد الكفاف" مما يتعلق ومتطلبات البقاء , بمعنى ان الفرد يعد فقيرا عندما لا تتوفر له متطلباته بالقدر الذى يحفظ له حياته و قدراته على العمل و الأنتاج.^٣

و أما فى الفكر الإقتصادى الإسلامى تتمثل مشكلة الفقر فى عدم توفر المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان و المكان و بحسب عمل ومسئولية الفرد وهو ما عبر عنه فقهاء الشريعة القدامى بمصطلح "حد الكفاية" مما يتعلق بمتطلبات الحياة الكريمة و أحيانا بمصطلح "حد الغنى" بمعنى ان يعد الفرد فقيرا متى لم تتوفر له متطلباته بالقدر الذى يجعله فى مجبوحة من العيش و فى غنى عن غيره.^٤

^٢ المرجع نفسه

^٣ المرجع نفسه

^٤ المرجع نفسه

و على هذا الأساس فإن التصور الإسلامى للمشكلة الإقتصادية اى مشكلة الفقر لم يرتبط منذ البداية بهدف توفير الضرورات الأساسية للمعيشة، وإنما بهدف رفع مستوى المعيشة و تحسينه، وهو ما انتهى اليه اخيرا الفكر الإقتصادى الحديث بعد اربعة عشر قرنا معبرا عنه بمصطلح "الرفاهية الإقتصادية" او " الرخاء المادى".

فمن ذلك يتبين ان الفقير فى الإسلام فردا كان او دولة هو من يعيش فى مستوى أدنى من المستوى المعيشى السائد فى المجتمع المحلى او العالمى المتقدم. و يترتب على ذلك ان المشكلة الإقتصادية فى نظر الإسلام هى على المستوى المحلى تكمن اساسا فى اختلال التوازن الإقتصادى بين أفراد المجتمع، و هى على المستوى العالمى تكمن فى الهوة المتزايدة بين الدول النامية و الدول المتقدمة. وهو الأمر الذى سبق به الإسلام كل تفكير متقدم، حيث لا يستهدف اليوم أى تغيير او اصلاح او أى نظام أقتصادى جديد، سوى تحقيق التوازن الإقتصادى بين افراد المجتمع على المستوى المحلى و تحقيق التوازن الإقتصادى بين دول العالم على المستوى العالمى. الأمر الذى نبه اليه الإسلام منذ اربعة عشر قرنا بقوله تعالى "كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم" °. بمعنى ان لا يكون المال متداولاً بين فئة قليلة تستأثر به دون غيرها سواء على مستوى أفراد المجتمع او دول العالم بل يجب ان يعم الخير الجميع.

و خلاصة القول ان الفقير فى الإسلام فردا كان ام دولة هو من لا يتوافر له المستوى اللائق للمعيشة بحسب الزمان و المكان وهو باصطلاح الفكر الإقتصادى الإسلامى من لا يتوافر له "حد الكفاية" او " حد الغنى" لا مجرد " حد الكفاف" ولقد اعتبر الإسلام ضمان حد الكفاية هو حق الهى مقدس لكل فرد كإنسان أيا كانت ديانته و أيا كانت جنسيته مادام ذلك الفرد المضيع موجودا فى

مجتمع اسلامى. و عليه فإن ضمان حد الكفاية هو فى الإسلام حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق وفى انكاره او اغفاله إنكار و تكذيب للدين و الإسلام ذاته بقوله تعالى " أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . و لا يحض على طعام المسكين "٦. وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه و سلم قوله " اللهم أعوذ بك من الكفر و الفقر " قال رجل : أيعدلان , قال : "نعم" و جاء فى الأثر "كاد الفقر ان يكون كفرا"

ج. سبب مشكلة الفقر

فى الإقتصاد الرأسمالى سبب المشكلة هم الفقراء انفسهم سواء لكسلهم او لسوء حظهم بشح الطبيعة او قلة الموارد. فقضية الفقر هى اساسا قضية قلة أنتاج او موارد. و قد رتب على ذلك أن على الدولة ان تبيح الحرية المطلقة للجميع ليتنجوا و يكسبوا و يعتنوا دون قيد او شرط وان على من خاناه الحظ ان يرضى بواقعه فهو نصيبه و قسم الله له.^٧

وفى الإقتصاد الإشتراكى سبب المشكلة هم الإغنياء أنفسهم باستئثارهم دون الأغلبية الكادحة بخيرات المجتمع, وبالتالى نشوء التناقض بين قوى الإنتاج و علاقات التوزيع. فقضية الفقر هى اساسا قضية سوء توزيع. و قد رتب على ذلك نظرياته فى الصراع بين الطبقات و التركيز على تغيير أشكال ووسائل الإنتاج بألغاء الملكية الخاصة و القضاء على الأغنياء البورجوازيين بحسب تعبيراته.^٨

وقد خالف الإقتصاد الإسلامى المدهيين السابقين فى تحديد سبب مشكلة الفقر فيرى أن مرد المشكلة ليس الفقراء او قلة الموارد كما ذهب الفكر الإقتصاد الرأسمالى. كما أنه ليس سببها الأغنياء او التناقض بين قوى الإنتاج و

^٦ سورة الماعون : ١-٣

^٧ محمد شوقى الفنجري, فكر المسلم المعاصر, ص. ٢٠٣

^٨ المرجع نفسه

علاقات التوزيع كما ذهب الفكر الإقتصادي الاشتراكي. وإنما مرد المشكلة هو أولاً : قصور الإنتاج بعدم استغلال الموارد الطبيعية لا قلة هذه الموارد، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة: "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الإنسان لظلوم كفار".^٩ و ثانياً : سوء التوزيع لا الملكية الخاصة ذاتها وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة: "وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان انتم الا في ضلال مبين".^{١٠}

فمشكلة الفقر في الإقتصاد الإسلامي إذن مردها الإنسان ذاته و فساد نظامه الإقتصادي، سواء من حيث ضعف الإنتاج او سوء التوزيع. فهي ذات صفة مزدوجة أو هي كالعملة الواحدة ذات وجهين أولهما يتعلق بوفرة الإنتاج وثانيهما يتعلق بعدالة التوزيع، بحيث لا يغني احدهما عن الآخر. ذلك أن وفرة الإنتاج مع سوء التوزيع هي احتكار و استغلال لا يسلم به الإسلام كما ان عدالة التوزيع دون انتاج كاف هي توزيع للفقر و البؤس مما يرفضه الإسلام.^{١١}

و ثمة أمر هام يعتبره الإسلام في تشخيصه لمشكلة الفقر فهو لا يقف بالنسبة للفقراء موقف الأثرة و اللامبالاة شأن الفكر الأقتصادي الرأسمالي، كما لا يقف بالنسبة للأغنياء موقف الكراهية و تغذية الصراع ضدهم شأن الفكر الإقتصادي الاشتراكي وإنما هو يعمل على التقريب بين الفئتين عن طريق احلال التعاون و التكامل بينهما لا التناقض و الصراع.^{١٢}

ثم هو في النهاية و على خلاف مختلف المذاهب و النظم الإقتصادية الوضعية لا يسنهدف في تعرضه لمشكلة الفقر الجانب المادي او الإقتصادي

^٩ سورة ابراهيم : ٣٤

^{١٠} سورة يس : ٤٧

^{١١} محمد شوقي الفنجري، فكر المسلم المعاصر، ص. ٢٠٥

^{١٢} المرجع نفسه

فحسب و إنما هو يسنهذف اساسا الجانب الروحى او الخلقى. فهو حين طالب الناس بالعبادة و ذكر الله علل ذلك فى القرآن بقوله تعالى "فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع و ءامنهم من خوف".^{١٣}

د. العدالة الإجتماعية فى المنظور الإسلامى

إن البحث عن مشكلة الفقر لا يمكن فصله عن مفهوم العدالة الإجتماعية و ذلك لأن الأولى هى المشكلة التى بسببها اختلت الثانية.

لقد قام الإسلام بتزويد نظامه بأدوات و عناصر تكفل الحفاظ على العدالة الإجتماعية و التى تعتبر مبدأ من مبادئه كما أنه حافظ عليها بشكل إيجابى فلم يقيم مفهوم العدالة تجريديا على أوهام و خيالات بل بلوره فى مخطط اجتماعى و تصميم واقعى بحيث ينسجم مع قيمه وهو يرى المبدأ فى ضوء اعتبارين

أولا : مبدأ التكافل العام . و هذا ضرورى لإشاعة روح العطف و الأحوه بين المسلمين بشكل معنوى و بحيث يكون له أبعاد مادية أيضا بين المسلمين.

ثانيا : مبدأ التوازن الاجتماعى حيث يلزم ان تكفل العدالة للمجتمع السعادة و التوازن وهو يرفض ان تتركز الثروة فى يد طبقة او افراد دون غيرهم فى حين لا يجد الأخرى ما يسدون به حاجاتهم فهو لا يسمح للغنى الا بعد ضمان حد الكفاية.^{١٤}

و هذا يعنى أنه لا يجوز ان يكون المال متداولاً بين فئة قليلة من الناس او دول معينة بل يجب ان يعم الخير الجميع. كما جاء الحديث النبوي قاطعا "تؤخذ من أغنياءهم فترد على فقراءهم" (متفق عليه) والأخذ هنا منصب على الفضل و الزيادة فى الدخول دون مساس بأصل ملكية الأفراد او الدول الغنية. فإنه اذا كان

^{١٣} سورة القريش : ٣-٤

^{١٤} أشرف عبد المطلب, الطبيعة المذهبية للإقتصاد الإسلامى, (القاهرة : منبر

الإسلام لا يرضى ان يشبع مسلم ويجوع جاره وهو يعلم, فإنه لا يرضى ان تشبع دولة اسلامية بينما تجوع أختها و يثقل كاهلها بقروض ربوية.^{١٥}

يرى القرضاوى أن العدل الإجتماعى يتعلق بتوزيع الثروة بحيث لا تستأثر بها فئة قليلة و تحرم منها الفئات الأخرى, بل تقدم الفئات الضعيفة على غيرها فى توزيع ما أفاء الله به على الأمة من موارد مثل عائدات النفط و الغاز و الماس و نحوها.^{١٦} و لذلك كان من الضرورى ان تكون الثروة و ان ربط باسم شخص معين لجميع عباد الله يحافظ عليه الجميع و ينتفع به الجميع.^{١٧}

و هذا العدل الذي يبلغ به الإسلام الى حيث يجعله اسما من اسماء الله الحسنى انه الأمانة التى حملها الإنسان دون المخلوقات وهو امانات الأموال و العدل بين الناس فيها. وهو فريضة عامة و شاملة فرضها الله سبحانه و تعالى حتى على المعصوم صلى الله عليه وسلم. تبدأ ميادينه من العدل مع النفس و البعد عن ظلم الإنسان حتى لنفسه و تمتد فريضة العدل من ميدان النفس و الذات الى ميدان الأسرة من بر الوالدين الى العدل بين الأبناء حتى يشمل كل ميادين الحياة. ففى كل الوان الحكم و ميادينه و مع الأهل و فى كل الولايات يجب اقامة العدل و القسط بين الناس. بل لقد امتد الإسلام بأفاق فريضة العدل لتشمل العدو بعد ان شملت الأولياء.^{١٨}

^{١٥} محمد شوقى الفنجري, فكر المسلم المعاصر, ص. ١٨٣

^{١٦} يوسف القرضاوى, مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية, (بيروت : مؤسسة

الرسالة, ١٩٩٧), ص. ٧٢

^{١٧} محمود شلتوت, الإسلام عقيدة و شريعة, (القاهرة: دار القلم, ١٩٦٦), ص.

^{١٨} محمد عمارة, هل الإسلام هو الحل؟, (القاهرة : دار الشروق, ١٩٩٥), ص.

و على الرغم من ذلك كله فإن العدالة الإجتماعية لا تزال معطلة في حياة الأمة و على الأمة الجهاد لإقامتها. وإن إقامة فريضة العدل الإجتماعى تتطلب مواجهة هذه السيطرة المستبدة لدولة الأغنياء و مواجهة فردية الإستغناء التى أثمرت الطغيان المالى و ضبط الحرية الإقتصادية.

وكذلك إنقاذ فقراء الأمة بالعدل الإجتماعى من الكوارث التى تحل بتوازهم فتذهلهم عن الدين و الدنيا معا و تحولهم الى غشاء كغشاء السيل و غبء على حاضر الأمة و مستقبلها. و هذا العدل الإجتماعى يستلزم الأمور الآتية:

١. تحرير ثروات الأمة من الإستغلال الأجنبي
 ٢. تحقيق التكامل للإقتصاديات الإسلامية المستقلة
 ٣. احداث تنمية اقتصادية اسلامية شاملة
 ٤. توزيع العائد من التنمية وفق العدالة التى تحقق التوازن بين الطبقات.^{١٩}
- و أما الخطوتان التى يلزم القيام بهما من أجل إقامة العدالة الإجتماعية الإسلامية هي :

١. اصلاح الواقع القائم و المتمثل فى التفاوت العظيم و البون الشاسع و الفرق العظيم بين الطبقات المختلفة فى الشعبز وذلك بتقريب الشقة بين مختلف الطبقات تقريبا يقضى على الثراء الفاحش و الفقر المدقع.
٢. محاربة الربا و جمع الزكاة و فرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدى و تجيى من الأغنياء الموسرين و تنفق فى رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة و التوسط بين الأغنياء و الغافلين و الفقراء المعوزين بتنظيم الإحسان و جمع الصدقات لتوزع فى المواسم و الأعياد. و

ذلك حتى يشعر الفقراء المعدومون بأنه قد أصبح لهم ما يعينهم امره و
يهمهم شأنه.^{٢٠}

ان الإسلام دين الجماعة دون انكار التمايز المشروع المؤسس على
الكفاءة و الجهد، لكنه يقيم العلاقة بين مكونات الجماعة على التوازن و العدل.
فالإمة فى الرؤية الإسلامية واحدة.^{٢١}

هـ. الحل الإسلامى لمشكلة الفقر

الإنسان هو المخلوق المكرم الذى سخرت من اجل اسعاده السموات
والأرض بل هو خليفة الله فى هذه الأرض. ولقد كان طبيعيا ومنسجما مع تكريم
الله للإنسان ان يقف الإنسان موقف الراض العنيف للفقير با موقف الفرع الأكبر
على الناس من الجوع و المحرض الأكبر لهم على ان ينتزعوا بأظافرهم حقهم فى
القوت من الأغنياء. يقول الله تعالى " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
والله يعدكم مغفرة منه و فضلا و الله واسع عليم ".^{٢٢}

وفى قول على بن أبى طالب : "لو كان الفقر رجلا لقتلته" ومن اقوال
بعض السلف: "اذا ذهب الفقر الى بلد قال له الكفر خذنى معك" ومما قاله ذو
النون المصرى الصوفى "أكفر الناس ذو فاقة لا صبر له" وقد نقل عن الإمام أبو
حنيفة قوله "لا تشتشر من ليس فى بيته دقيق، اذ كيف يكون للرجل رأى مصيب
وفكره مشغول بمشكلة قوته"

يطرح القرضاوى حولا أربعة كفلها الإسلام لمواجهة مشكلة الفقر.^{٢٣}

^{٢٠} المرجع نفسه. ص. ١٠٧

^{٢١} المرجع نفسه. ص. ١٠٨

^{٢٢} سورة البقرة : ٢٦٨

^{٢٣} فهمى هويدى، القرآن و السلطان، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١)، ص.

اولا : ان كل انسان فى عالم الإنسان مطالب بأن يعمل ما دام قادرا على ذلك. يقول الله تعالى "هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه".^{٢٤} و العمل قرين الجهاد , يقول الله تعالى " و اخرون يضرىون فى الأرض يبتغون من فضل الله و اخرون يقاتلون فى سبيل الله".^{٢٥} و ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده , وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده".^{٢٦} و هناك أحاديث أخرى تحت على تحسين العمل و الإنتاج و إتقانها " ان الله كتب الإحسان على كل شيء " .^{٢٧} إن الله يحب من أحكم اذا عمل عملا أن يتقنه".^{٢٨}

ان الإسلام يطلب من أبناءه ان يكونوا أصحاب همم فكسب المال عندهم يخضع لتصرف المهمة الكبيرة قد يكون المال قريبا من أحد ولكن لا ينبغي أن يأخذه من أيسر سبيل و تقعد. و بهذا الخلق استطاع المهاجرون ان يزاوموا الإقتصاد اليهودى فى المدينة المنورة و ان يجعلوا المال اسلاميا. وهذا شيء له خطورته فى كسب النصر للدين نفسه, فإن الإقتصاد يوم تعبت به أيدي من لا ملة لهم ولا شرف فإنهم يسخرون فى ضرب الملة السمحة.^{٢٩}

^{٢٤} سورة الملك : ١٥

^{٢٥} سورة المزمل : ١٠

^{٢٦} رواه البخارى

^{٢٧} رواه مسلم

^{٢٨} رواه البيهقى

^{٢٩} قطب عبد الحميد قطب, خطب الشيخ محمد الغزالي, (القاهرة: دار الإعتصام,

و من هنا اعتبر ان يد المعطى هى اليد العليا, والله هو الأعلى و
الأخذ يده دنيا و لأن يكون أحد اسدا تأكل الثعالب من فضلاته أشرف من أن
يكون ثعلبا يأكل من فضلات الناس.^{٣٠}

ولذلك كان الإسلام شديد الحز على ان ينطلق المؤمنون فى المشارق و
المغرب يكسبون رزقهم و يطلبون فضل الله فى فجاجه المبعثرة هنا وهناك او
المخبوءة تحت طباق الثرى, وهذا سر قول الله تعالى " و لقد وكناكم فى الأرض و
جعلنا لكم فيها معاش "^{٣١}.

ثانيا : كفالة الموسرين و الأقارب, و التشريع الإسلامى هو الوحيد الذى
ينفرد بأقرار هذا الحق للفقير تجاه قريبه الموسر.

يقرر الإسلام ضمان حد الكفاية لكل فرد باعتباره حق الله الذى يعلو
فوق كل الحقوق و بحيث لا يسمح بالغني مع وجود الفقر و الحرمان و إنما يبدأ
الغني و التفاوت فيه بعد ازالة الفقر و القضاء على الحرمان. ومع ذلك فإن هذا
التفاوت ليس مطلقا بل هو تفاوت منضبط بالقدر الذى لا يخل بتوازن المجتمع.

فقد اوجب الله تعالى على كل فرد غني وبالمثل كل دولة غنية التزامات
معينة تتمثل فى تقديم ما يزيد على حاجة الفرد الغني او الدولة الغنية الى الفرد او
الدولة المحتاجة, و ذلك دون حدود سوى ما يسد او يكفى هذا الفرد او تلك
الدولة المحتاجة على أت يبدأ بالأقرب فالأقرب. وكل ذلك أعمالا لقوله تعالى "
ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو "^{٣٢} والعفو هنا هو الفضل اى ما زاد على
الحاجة.

^{٣٠} المرجع نفسه

^{٣١} سورة الأعراف : ١٠

^{٣٢} سورة البقرة : ٢١٩

ولقد صاغ الإمام الشافعي العلاقة بين الأغنياء و الفقراء افرادا كانوا او دولا في عبارة دقيقة مشهورة عنه بقوله "ان للفقراء أحقية استحقاق في مال الغني حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه و بين الفقير " و ذهب الفقيه احمد بن على الدجلى في كتابه الفلاكة والمفلوكين "ان من حق المحروم ان يرى النعم التي بأيدي الناس مغصوبة , و المالك المستحق يطالب باسترداد ناله من أيدي الغاصبين".^{٣٣}

ثالثا : الزكاة و هى عبادة مالية عنى بها الإسلام أن يمد الغنى يده الى الفقير بما يسد حاجته و الى المصالح العامة بما يحققها و هى واجبة على الغني فيما يفضل عن حاجته و حاجة من ينفق عليهم, من ماله النقدي , و قيم أعيانه التجارية و مواشيه و ثمار زروعه, بنسب معروفة عند المسلمسن, يقوم مجموعها بحاجة الفقير و المصالح ولا ترهق أربابها.^{٣٤}

و الزكاة ليست احد أركان الإسلام الخمسة فقط و لا قرينة الصلاة فقط و لكنها ايضا العبادة الوحيدة التي يمتد أثرها الى الناس بصورة مباشرة. فهذا مال يقتطع بنسبة معينة ليوجه الى مصارف محددة في المجتمع. بينما الأركان الأربعة الأخرى تقوم في علاقة الإنسان بربه. ولا تنعكس على الآخرين الا في صورة غير مباشرة, بقدر انعكاس أداء شعائرها على خلق المسلم و سلوكه.^{٣٥}

ولخطورة الدور الذي تؤديه فقد تشدد الرسول عليه السلام في شأنها حتى قال " من أعطاها مؤثجرا فله أجرها و من منعها فإنها اخذوها, و شطر ماله غرمة من غرمات ربنا لا يحل لأل محمد منها شيء"

^{٣٣} محمد شوقي الفنجرى, فكر المسلم المعاصر, ص. ٢١٠

^{٣٤} محمود شلتوت, الإسلام عقيدة وشرعية, ص. ٩٨.

^{٣٥} فهمى هويدى, القرآن و السلطان, ص. ١٧٣

و هذا الحديث فى نظر الدكتور القرضاوى يميز لولى الأمر مصادرة نصف مال من امتنع عن أداء زكاته. و هو نوع من العقوبات المالية التى يتخذها الحاكم عند الحاجة تأديبا للممتنعين والمتهريين. و بذلك صارت الزكاة هى الركن الوحيد من أركان الإسلام الذى يحضع المسلم لعقاب دنيوى اذا قصر فى أداءه.

ولنفس السبب قاتل الخليفة الأول أبو بكر الصديق و معه الصحابة, مانعى الزكاة. وقال كلمته المشهورة " والله لأقتلن من فرق بين الصلاة و الزكاة".

وللزكاة كما مصارف ثمانية محددة "انما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم و فى الرقاب و الغارمين و فى سبيل الله و ابن السبيل فريضة من الله و الله عليم حكيم".^{٣٦}

والزكاة فريضة على المال من صاحب المال الأصلى وواهبه سبحانه و تعالى, و أنها ليست تبرعا من الأغنياء و لكنها حق للفقراء. يقول الله تعالى " و فى أموالهم حق للسائل و المحروم"^{٣٧} و إن الهدف الأساسى لها هو إعانة ذوى الحاجة من المسلمين.

و هناك من يحاول ان يصور العدالة الإجتماعية فى الإسلام بأنها " عدالة قائمة على الصدقات" بمعنى التبرع ومد اليد. و يغيب عن هؤلاء ان الإسلام يعتبره مال الله فى الأساس, و أن نصيب الفقراء فيما لدى الأغنياء هو " حق" بالدرجة الأولى. و أن الزكاة ليست متروكة لتطوع القادرين و أمزجتهم ولكنها فريضة واجبة تقتطع من مالهم اذا تقاسعوا عنها أى أنها فى حقيقتها " ضريبة" سنوية واجبة الأداء للحاكم المسلم, هدفها تحقيق التكافل فى دار الإسلام حتى لا يظل المال دولة بين الأغنياء.

^{٣٦} سورة التوبة : ٦٠

^{٣٧} سورة الداريات : ١٩

لكن هذه الزكاة ليست كل حق الفقراء فيما لدى الأغنياء و لكنها الحد الأدنى المفروض فى الأموال. و لولى الأمر اذا لم تسد الزكاة حاجة فقراء المسلمين أن يأخذ المزيد من الأغنياء بالقدر الذى يسد هذه الحاجة. و الحديث الشريف صريح فى ذلك "أن فى المال حقا سوى الزكاة".^{٣٨}

والزكاة لها دور هام فى ضمان حد الكفاية لكل فرد من أعضاء المجتمع بحيث أنها تكفلت للعاجزين عن سد حاجاته لسبب خارج كمرض او شيخوخة او تعطل. و تحرر الزكاة الإنسان من عبودية الفقر و الحاجة و ليخلص من عبادة الله وحده و يكون بحق خليفة الله فى الأرض. بل لقد رفع الإسلام من أمر الزكاة الى مرتبة العبادة فجعل اداءها فى مرتبة أداء الصلاة.

رابعا : الخزانة الإسلامية بمختلف مواردها. ففى املاك الدولة الإسلامية و الأموال العامة التى تديرها و تشرف عليها بالإستغلال او الإيجار أو المشاركة. و فى خمس الغنائم و فى مال الفياء و فى الخراج فى كل هذه الموارد نصيب للمحتاجين و المعوزين. يقول الله تعالى "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله و للرسول ولذى القربى و اليتامى و المساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم".^{٣٩} ولندكر قسم الخليفة عمر بن الخطاب "والله ما من المسلمين أحد إلا و له فى هذا المال نصيب".

و يخطىء من يظن ان هذه الكفالة مقصورة على المسلمين وحدهم رغم إشارة عمر بن الخطاب على ذلك. إذ ان المقصود بإشارته هم الذين يعيشون فى دار الإسلام . وعمر نفسه هو الذى أثار انتباهه شيخ من يسأل الناس , فقال له : ما أنت يا شيخ ؟ قال : ذمي (وكان يهوديا) فرد عمر: ما أنصفناك ؟ أكلنا شببيتك ثم نضيعك فى هرمك. وأخذته الى بيته فأعطاه ما وجد عنده وأرسل الى

^{٣٨} فهمى هويدى, القرآن و السلطان, ص. ١٧٥

^{٣٩} سورة الحشر : ٧

مسئول بيت المال يقول : الى هذا و ضربائه فافرض لهم من بيت المال ما يكفيهم و عيالهم.

ذلك انه عندما يتصل الأمر بالفقر و الحاجة فإن القضية المطروحة تصبح قضية كرامة الإنسان, مجلد كونه انسانا مسلما أو غير مسلم. و النص القرآني "ولقد كرمنا بني ادم" ولم يقصر التكريم على مخلوق دون آخر. وليس الهدف من هذا كله ان يعيش الإنسان في عالم الإسلام عند حدود الكفاف ولكن الهدف هو سد حاجة الإنسان قدر الإمكان ليعيش حياة كريمة تليق بمخلوق الله المختار.

خ. خاتمة

هذا هو موقف الإسلام بالنسبة لأكبر مشكلة أو أكبر تحد يواجه دائما الإنسانية عبر مسارها و تاريخها الطويل بل هذا هو حق الإنسان في الإسلام الذي أكدده منذ أربعة عشر قرنا من حيث ضمان " حد الكفاية " لكل فرد أيا كانت جنسيته او ديانتته. و ذلك كحق الهى مقدس يعلو فوق كل الحقوق. و لو أدى الأمر في حالات الشح و الندرة او المجاعة و هى ظروف استثنائية أن يتساوى الجميع في حد الكفاف.

المراجع

أشرف عبد المطلب, الطبيعة المذهبية للإقتصاد الإسلامى, القاهرة : منبر الشرق,

١٩٩٤

فهمى هويدى, القران و السلطان, القاهرة : دار الشروق, الطبعة الثالثة, ١٩٩١

قطب محمد قطب, خطب الشيخ الغزالى, القاهرة : دار الإعتصام, ١٩٨٧

محمد شوقى الفنجرى, فكر المسلم المعاصر ما الذى يشغله, القاهرة : مركز الأهرام

للترجمة و النشر, الطبعة الأولى, ١٩٩٤

محمد عمارة, هل الإسلام هو الحل؟, القاهرة : دار الشروق, الطبعة الأولى,

١٩٩٥

محمود شلتوت, الإسلام عقيدة وشرعية, القاهرة: دار القلم, الطبعة الثالثة, ١٩٦٦

مصطفى محمود، الإسلام .. ما هو؟، القاهرة : دار المعارف، الطبعة الخامسة،

مجهول السنة

يوسف القرضاوى، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، بيروت : مؤسسة الرسالة،

الطبعة الثانية، ١٩٩٧

-----، السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، القاهرة : دار الشروق، الطبعة

الثانية، ١٩٩٨

